

نمط بناء الأحداث في الرواية الجزائرية المعاصرة (رواية الملكة لأمين الزاوي أنموذجا)

The patterns of constituting the events in the Algerian novel (The queen novel, Amin Azaoui as a model)

أ.د. محمد بوسعيد جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر) mohammad.boussaid@univ- msila.dz	حسينة دلوم* جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر) dochassina@gmail.com
---	--

ملخص:	معلومات المقال
يعتمد فهم المتلقي للرواية على مدى استيعابه لأحداثها، مثلما يعتمد تحديد نمط بنائها على تفكيك تلك الأحداث ومعرفة العلاقات الرابطة بينها؛ مما يخلق تعددية في المشاهد والشخصيات وتنوعا في الأفعال والأصوات والمنطلقات، إن ذلك يتيح لنا فهم الكثير من الصور والأفكار المستلهمة، من خلال طريقة ترتيب الوقائع، والموضوع الذي تدور حوله، وتصوير الشخصيات في حركتها، وأفعالها، وأبعادها، وعلاقاتها؛ فهو تقنية أساسية يركز عليها العمل السردى باعتباره مجالا تتحرك فيه الشخصيات مقيدة في حركتها بالزمن والفضاء، من هذا المنطلق يسعى هذا المقال إلى عرض أهم الأحداث الواردة في الرواية محل الدراسة، وتحليلها، ومعرفة تواليها، وتشكل العقدة والنهاية، ومستويات السرد وطريقته، وواقعية الأحداث.	تاريخ الارسال: 2021/08/05 تاريخ القبول: 2021/11/09
	الكلمات المفتاحية: ✓ رواية. ✓ أحداث. ✓ نمط البناء.
Abstract :	Article info
<i>Understanding the novel relies on the receiver's comprehension; in addition to disassembling those events to know the relation them. This creates a multiplicity in scenes and characters in addition to actions, sounds and baselines. This enables us to understand a lot of pictures and ideas through organizing accidents, subjects as well as characters. It is a principle narrative technique that the novelistic work is based on where the characters move according to time and space.</i>	Received 05/08/2021 Accepted 09/11/2021
	Keywords: ✓ novel; accidents. ✓ pattern constituting.

1. مقدمة:

تتمحور فكرة رواية (الملكة الفاتنة تقبل التّنين على فمه) لأمين الزاوي حول حدث اقتصادي، ألقى بتأثيراته على الجانب الاجتماعي، هو الهجرة الكبيرة للعمّال الصّينيين نحو الجزائر، مشكّلين بذلك ظاهرة ملفتة للنّظر، سعى الكاتب إلى تتبّع أسبابها، وتشريح ظروفها وملابساتها، وإبراز أثارها على الواقع العام، والبحث عمّا يكتنف هذه الفئة الدّخيلة من قضايا عاطفيّة وأخرى ثقافيّة واجتماعيّة، فهؤلاء قدموا من أجل العمل في ورش البناء ليتحوّلوا إلى اقتناء المحلّات، وغزو سوق السيّارات، وامتلاك الأحياء السّكنيّة، وبناء علاقات غراميّة مع الجزائريّات؛ بحيث شكّلوا جالية ويطمحون إلى تأسيس الأحزاب السياسيّة للدّفاع عن حقوقهم، كما أنّ انعكاس الوضع الاقتصاديّ المنفتح على الشّراكة الصّينيّة خلق حركيّة جديدة على مستوى الواقع الاجتماعيّ، لم تخلُ من خرق للجانب الدّينيّ والسياسيّ والجنسيّ، قدّمه الكاتب في طابع تهكمي يستهتر بالدين ويسخر من السياسة ويمجّد الجنس وإن كان في إطار غير شرعيّ.

إلى جانب ذلك فإنّها تعالج ظاهرة هيمنة الاستثمار الصّينيّ على الاقتصاد الوطنيّ، حيث يشبّه الكاتب قدوم الصّينيين بسبب عددهم الكبير بالغزو، لكنّه غزو من نوع آخر، إنه إيجابيّ ومفيد، أتى بطريقة سلميّة ومغايرة للغزو الفرنسيّ الذي جاء لهدم الجزائر، بينما هدفهم هو بناء المدن الخرافيّة، وتحويل الصّحاري إلى مساحات زراعيّة تصلح لأشهى الخضروات والفواكه والحبوب، وإقامة المطارات الدّوليّة الحديثة التي تفوق في جمالها وعظمتها وحدثها مدينة دبي الإماراتيّة.

وبما أنّ النّصّ الرّوائيّ هو سرد متتابع لجملة من الأحداث والوقائع، التي جرت في زمن ومكان معيّنين تقوم به شخصيّة واحدة أو تشترك في صنعه شخصيات عديدة، هو نتاج لتجارب الكاتب الإبداعية يقدّمها متخفيًا خلف قناع شخصياته، بلغة أدبيّة وفنيّة راقية نستشفّ من خلالها توجّهه الإيديولوجي ونظرتة للحياة والعالم والموجودات، وتدلّ على مرجعيّاته ومعتقداته، وطبيعة المؤثرات الثقافيّة والاجتماعيّة التي اكتنفت محيط نشأته؛ فإنّ الرواية التي بين أيدينا كتبت لتساير التغيّرات الطّائرة على راهن الإنسان الجزائريّ، وتحيط بملابسات الوضع الجديد، ومدى استيعابه لما استجدّ حوله، وتقبّله له، وتفاعله معه، ومختلف التّصوّرات التي يبنها خياله، والهواجس المسيطرة على تفكيره الحاضر، وكذا التّوقّعات التي يستشرفها لمستقبل حياته، لتلامس بذلك حدود الواقع وتعكس تحولاته، حتّى وإن كان الخيال مكوّنًا إبداعيًا بارزا ينفي حقيقيّتها، فمن خلال تشكيلها للأحداث تتحقّق معماريّةها؛ ما يؤكّد الأهميّة البالغة التي يكتسبها الحدث في تشكيل بنية النّصّ السّردية؛ بسبب قدرته على كشف السّبيل التي اتّبعها الكاتب لإبداء وجهة نظره في النّصّ المطروح، وكيفية صياغته لمختلف الأفكار الواردة فيه، وتصوير المشاهد المتنوّعة، وهذا ما يساعدنا على استجلاء وسائل العمل الإبداعيّ التي وظّفها لخدمة الإطار العامّ لبنية النّصّ السّردية، فالنّصّ الرّوائيّ المعاصر لا يقدّم مضمونه جاهزا يتلقّاه القارئ بكلّ أريحيّة؛ بل يجهده ويدفعه دفعا ليسعى نحو اكتشاف ما هو مخبوء وراء مختلف البنيات المكوّنة للنّصّ، مستغلاّ شغفه بالقراءة وحبّه للاطلاع، وهذا ما يحقّق جماليّة الكتابة الرّوائية، وإبداعيّة المؤلّف، وإشراك القارئ في صنع المعنى.

من هذا المنطلق؛ ينصبّ اهتمام هذا البحث على بناء أفكار وتصوّرات حول مختلف الأحداث الواردة في الرواية محلّ الدّراسة، ونمط بنائها، والوقوف على مدى أهمّيّتها في البناء السّردية، والتّغيّرات الجديدة التي طرأت عليها في ظلّ هيمنة المظاهر التّجربيّة الحديثة، فكانت الإشكاليّة المطروحة والفرضيات كما يلي:

إلى أي مدى استطاعت رواية (الملكة) توظيف الحدث، باعتباره تقنية أساسية لبناء النصّ السردّي؟ هل تمّ ذلك بطريقة تقليديّة؟ أم أنّ المؤلّف أخضعها لخصوصيّة الرواية الجديدة؟ وهل أفلح ذلك في نقل الرواية الجزائريّة من شكلها التقليديّ إلى شكل جديد أكثر تطورا؟

من أجل الوصول إلى حلّ للأسئلة المطروحة؛ ارتأينا أن نستعين بالمنهج البنيويّ لتجزئة النصّ إلى وحدات، وكشف العلاقات القائمة بينها، كما استفدنا من بعض الأدوات الإجرائيّة الخاصّة بالمنهج الوصفيّ والسيميائيّ، مثل: الوصف، والتّحليل، والتّقد، لتقديم صورة متكاملة عن مضمون الرواية، واستظهار قيمها الفنيّة والأدبيّة.

2. موضوع رواية (الملكة):

تمثّل (الملكة) استقرارا لتجربة اجتماعيّة، تنفذ إلى أعماق عقل الفرد الجزائريّ، واستكشافا لعوالمه النفسيّة الداخليّة، بمختلف أطرافه، وتوجّهاته، وانتماءاته الإيديولوجيّة والطّبقيّة، ومستواه الثقافيّ، تحمل جزءا من الحقيقة وباقي الأطراف نسجها خيال الكاتب، هدفها هو تعرية الواقع، الذي يشكّل في حدّ ذاته حكاية كبرى تتناسل منها الحكايات "الواقع بالنسبة للروائيّ هو المجهول واللامرئيّ، هو ما يراه بمفرده، وما يبدو له أنّه أوّل من يستطيع رصده. الواقع لديه هو ما تعجز الأشكال التعبيريّة المألوفة والمستهلكة عن التقاطه، مستلزما طرائق وأشكالا جديدة ليكشف عن نفسه" (لوسيان، ساروت، آلان روب، وجينيفيف، 1988، صفحة 12)، حيث سعى المؤلّف من خلال السرد الروائيّ إلى إبراز مجموعة من الاعترافات، والانطباعات، والأفكار، والتأويلات، لخصّها في جملة واحدة "قرّرت أن أروي لكم" (الزاوي، 2015، صفحة 8). كما يمكن

اعتبارها بحثا في الأسباب المؤدّية إلى جملة من التناقضات النفسيّة والاجتماعيّة، حيث تصوّر بقوة كثيرا من المشاهد الإنسانيّة المستلهمة من الواقع الجزائريّ، كالمعاناة اليوميّة للإنسان البسيط في المدينة، حين يجد نفسه محاصرا في عيشه ومرضه، ولعلّ المشهد الخاصّ بوصف سيارة الإسعاف المخصّصة لنقل الأموات والأحياء على حدّ سواء دليل بالغ على هذه الإشكاليّة الاجتماعيّة، كما أنّها تعريّ المستفيدين من الانفتاح الاقتصاديّ في ظلّ تسلّط البيروقراطيّة الإداريّة والتسيّب والإهمال، وتنتقد الحياة المتخلّفة في الأرياف والقرى المعزولة عن العالم المدنيّ؛ أين تسيطر الخرافة على عقول الأهالي البسطاء، وحتّى المسؤولين السّياسيين، كما في نموذج بلدية بني فرطاس، تنبش في الموروث السّياسيّ الأليم؛ الذي لا يزال أثره النفسيّ والاجتماعيّ يلاحق الجزائريّين إلى اليوم، ممثّلا في ظاهرة الإرهاب، فتسخر من قاداته المتستّرّين تحت عباءة الدّين وهم يمارسون الاغتصاب الجماعيّ على الفتيات المختطفات، في صورة ساديّة مليئة بالأم وخوف المغتصابات جرّاء العنف والقهر والتسلّط الممارس، ومصير الأطفال مجهولي النّسب الذين ولدوا في الجبل، كما تنتقد ميثاق السّلم والمصالحة الوطنيّة، وتطرح تساؤلات حول طبيعة النظرة النّمطيّة التي يقيم بها الجزائريّ الآخر الأجنبيّ، بناء على أفكار جاهزة ومسبقّة، فالعمّال الصّينيّون بسلوكياتهم، وثقافتهم وخصوصياتهم، يشكّلون عنصرا بشريّا غامضا غريبا عن الجزائريّ، جعله يتخوّف من هذا الوافد الجديد، ما أدّى إلى بروز تصادمات عدّة تبدو من خلال الشّخصيّات التي تجسّد حالة من الاغتراب الدّاتيّ، أين تشعر الدّات بعدم الانسجام مع المكان، والاتّفاق مع معطيات الواقع الجديد، فالكثير من الأفراد الجزائريّين يرفضون آثار هذه الظّاهرة على مجتمعهم.

إضافة إلى ذلك تثير الرواية إشكاليّة التّنوع اللّسانيّ في الجزائر، ممثّلا في اللّغة الأمازيغيّة، وتعرّج على قضايا المرأة،

ومعاناتها من سيطرة الذّكر، وقيود المجتمع على المطلقة، والتحرّش الجنسيّ في الشّارع، وعلى العموم فقد أرادها مؤلّفها رواية لسلخ أو جلد الدّات، تحاكم الواقع، وتنظر إلى الدّات الإنسانيّة والعالم المحيط من زاوية سوداويّة معتمّة "الزاوية التي غالبا ما تغفلها الكتابة. وهي في ذلك تتمثّل المفهوم التّعليميّ والتّربويّ للكتابة. أي أنّها وسيلة تثقيف وتوجيه. وبالتالي فهي وسيلة من وسائل ترسيخ قيم سائدة، ودعم تصوّرات غير قابلة للخلخلة" (معتمصم، 2010، صفحة 182). يسرد

الكاتب مغامرة عاطفيّة غير معهودة، بين امرأة جزائريّة وعامل صينيّ، بعد فشل زواجها من طبيب جزائريّ، يروي صعوبات اللّقاء، ونظرة المجتمع لطبيعة العلاقة بينهما، إذ قوبلت بالكثير من المضايقات والاستهزاء، تتخوّف بادئ الأمر من ردّة فعل المجتمع، لكنّها تقدم على هذه المغامرة العاطفيّة غير المعهودة، حين تجد معه السّعادة الكبرى، وتتحرّر "من كلّ ما عانتها جزاء عقد الرّجل الجزائريّ المتميّز بالهيمنة وبالذكورة الخارجيّة، تجد البطلة في عشيقها الصّينيّ الغريب فضاء لحريّتها واستعادة إنسانيّتها في القول والعاطفة والجسد، مع هذا الصّينيّ لا تعيش المرأة عقدة أو انحباسا كذلك الذي كانت تجده مع زوجها الأوّل، فمع الصّينيّ تؤسّس البطلة ذاكرة مشتركة جديدة، حيث يقوم الحلم والتّرقّب والشّفاء من أمراض هيمنة الرّجل الجزائريّ" (الزاوي، 2014).

كما أنّ قصّة الحبّ تلك، هي نموذج للعديد من القصص التي تحدث في الجزائريين هذين الجنسين، ما حذا بالكاتب لأن يستشرف مستقبل العلاقات الجزائريّة - الصّينيّة، من خلال ما يفكّر به بطل الرواية يونس الذي يأمل أن يؤسّس حزبا سياسيا، يلمّ شتات أفراد الجالية الصّينيّة الذين يتزايد عددهم يوما إثر يوم في الجزائر، كما يتوقّع البطل أنّ الجزائر سيحكمها رئيس من أصل صينيّ في الرّبع الأخير من هذا القرن؛ مع انتشار الرّواج المختلط بين الجزائريّات والصّينيّين، وظهور جيل جديد من الأطفال الجزائريّين من أصل صينيّ، يشكّلون أبناء العالم الجديد، نتيجة تمازج حضارتين مختلفتين، وهو يحلم بأن يحظى ابنه من سكورا بشرف هذا المنصب.

يسمّي الزّاوي روايته (الملكة الفاتنة تقبل التّنين على فمه)، ولعلّ هذا الاختيار لم يكن عفويّا؛ بل هو اختيار مقصود، ينبئ عن مغزى عميق، يتوارى خلف أقنعة السّرد، فالنّص لم يخل من التّرميز، والتّلميح والإيحاء، هذا ما يوحي به العنوان، وتفصيل الأحداث، وأوصاف الشّخصيّات، وطبيعة التّحوّلات؛ ف(الملكة) مع ما تكتنزه هذه الكلمة من معان تحمل في دلالتها مظاهر الجلال، والأبهة، والعظمة، والسّلطة، يمكن اعتبارها أيضا رمزا للمرأة القويّة والجميلة.

من جوهر الرواية من خلال غلافها الخارجيّ، بألوانه الدّالة على العلم الجزائريّ، الأخضر القريب من الرّماديّ، فهو يحمل صورة امرأة بمظهر عصريّ، تلبس فستانا أحمرًا قصيرا، وتحمل مطرّية بيضاء اللّون، تقيها من المطر الممهمروهي تسير، بجانبها؛ كتبت عبارة (الملكة)، ويعتلمها اسم المؤلّف (أمين الزّاوي)، الذي يشير إلى أنّه جزء من العمل، سواء ككاتب للرواية؛ باحث عن الحقيقة؛ كاشف للأسباب، أو كمتحقّف يمثل جزءا من المشهد، أمّا الفكرة الخفيّة فهي أنّ البطلة؛ المرأة الجميلة؛ سكورا ابنة المناضل الثّوري ذات المنشأ الأمازيغيّ، والتّعليم العربيّ، وابنة الرّجل الفرنسيّ، ما هي إلّا الجزائر الحديثة؛ ابنة الثّورة؛ خليط من الثّقافة العربيّة، والأمازيغيّة، والفرنسيّة، تبحث عن متنقّس جديد، وهو يونس، الذي يمثل بلده الصّين، فهو يبدو بسيطا وهادئا، عالم جديد؛ غريب، يثير متعة الاستكشاف، رمز له الكاتب بالتّنين؛ العملاق النائم، الرّمز المعروف في الثّقافة الصّينيّة، أمّا القبلية فهي ذات إيحاء جنسيّ، يحيل على اللّقاء، والحبّ، والدّخول في مغامرة عاطفيّة، فحكاية سكورا تتجاوز كونها حكاية امرأة، وتتعدّها إلى حكاية مدينة، وحكاية وطن، يبدو ذلك جليّا من خلال كثير من الأفكار التي وظّفها الكاتب في

لم أطرافها.

3. أحداث رواية (الملكة):

يعني الحدث في مجال السرديات الانتقال من حالة إلى أخرى، وقوام الحكاية يكمن في تتابع أحداثها، سواء أكانت واقعية أو متخيلة، وترابط الأحداث بحسب التعاقب الزمني والتراتب السببي يسرى فعلا، ويعدّ ميزة للنصّ الأدبيّ دون غيره من النصوص (القاضي، وآخرون، 2010، صفحة 272)، فعلى الرغم ممّا تظهره أوصاف بعض الأحداث من تشابه مع مجريات الواقع قد تصل حدّ التطابق، إلا أننا نجد الروائيّ شديد الحرص على تغليب الخيال؛ لأنّ المقصود هو إنتاج نصّ أدبيّ سرديّ بمواصفات فنيّة، تحقّق للعمل الأدبيّ أدبيته وشعريته، وليس تأريخا للأحداث، وتقريبا للوقائع، غير أنّ هذا الترتاب المقصود هو عين المطلوب، فكلمّا أحسن الكاتب ترتيب أحداث روايته؛ كلّما زاد القارئ تشويقا لمتابعة ما يأتي، لكنّه لا يعني بالضرورة المنطقية في الترتيب، فقد تكون الأحداث مبعثرة زمنيًا، لكنّها مترابطة سببيًا من حيث الفكرة المراد إيصالها من خلال هذه البعثة.

إلى جانب ذلك يتشكّل قوام الحدث الروائيّ من تضافر "مجموعة من الأفعال والوقائع، مرتّبة ترتيبا سببيًا، تدور حول موضوع عامّ، وتصوّر الشخصية، وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملا له معنى، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى (المحاسنة، 2012)"، فالشخصية هي من تقوم بالحدث، ومن هنا فهو يشمل كلّ أثر تحدثه الشخصية داخل النصّ الروائي، وتعيش حيثياته، وتتفاعل مع تأثيراته، لذا فهو كتنقيّة سردية يمثّل مرتكزا للعمل الروائي، باعتباره مجالا تتحرّك فيه الشخصيات مقيّدة في حركتها بالزمن والفضاء.

وقد اختصرنا الأحداث الواردة في (الملكة)، دون الإخلال بمسارها الترتيبيّ العامّ، فكانت كما يلي:

1.3 افتتح الكاتب روايته بمشهد سكورا واقفة في الشرفة المطلّة على ميناء مدينة الجزائر، تترقّب ظهور يونس، هي حامل منه في شهرها السابع، أملة أن يكون هذا الطّفل "أول السّلالة الجزائرية الصّينية التي ستحكم البلاد مع نهاية هذا القرن" (الزاوي، 2015، صفحة 8)، لذا تقرّر أن تعرّف القارئ على حكايتها.

2.3 يدور حوار بين سكورا ويونس في شقته، تحدّته عن صورة الصّين في مخيلتها وهي طفلة، وتظهر إعجابها بقدرته على الحديث بالعربية، بحريّة وطلاقة، وهي التي منعت الحديث بها في المنزل بقرار من والدها "بعد مجازر الربيع الأمازيغيّ الذي جاء ردّا على رفض النّظام التّرخيص لمحاضرة كانت مبرمجة للكاتب مولود معمّري بمدينة تيزي وزو" (الزاوي، 2015، صفحة 14)، يبادلها هو بدوره الحديث عن سبب مجيئه إلى الجزائر؛ بغرض طلب المال والعمل، وحلمه بإنجاب ولد يقود هذه البلاد العظيمة، يصغيان معا إلى الموسيقى؛ فتنسجم مع ذلك العزف، الذي كلّما ارتفع زادها لذة بالاستماع، كأنّها تحلّق في جنبات الجنّة، ينتهي الحوار بينهما بعد مغادرتها للشقّة.

3.3 يودع يونس طلبا لدى سلطات بلاده للسّفر إلى الجزائر، فيحصل عليه بعد انتظار دام ثلاث سنوات وبضعة أشهر، وإثر ذلك يستقلّ طائرة متوجّهة من بكين نحو العاصمة، تنزل الطّائرة على مستوى مطار هوّاري بومدين على الساعة الخامسة، ولأوّل مرّة يضع قدميه على تراب الجزائر؛ فيحسّ كأنّه ولد من جديد.

4.3 يصف يونس لحظة وصوله إلى المطار رفقة زملائه؛ فهو لأول مرة يرى سماء مدينة الجزائر، ويرى أهلها الذين بدوا متشابهين، يعرّف القارئ على صديقه سون باسن، الذي يشبهه كثيرا حدّ تسميته بأخيه التّوأم ويعتقد بأنّه شقيقه، من علاقة خفيّة بين أمّه وجارهم صاحب مزرعة الحجل، أخيرا يصل إلى الإقامة الجماعيّة رفقة شقيقه ويسكنان غرفة واحدة بسرير ذو طابقين.

5.3 بعد مرور سنتين من إقامته بالجزائر، يستعيد يونس شريط ذكرياته في إحدى الليالي الممطرة، بدءا من ابنة عمّته التي يحنّ إليها، وكثيرا ما حلم بالزّواج منها، يتذكّر معها حكاية مرّي الحجل الذي كان يزوّده بكتب الأشرطة المرسومة والمجلّات، فجأة؛ تحاصر الشّركة المرفقة بالكلاب المدرّبة الإقامة في منتصف الليل وتفشّش غرفته، وتصادر جميع أغراض شقيقه الذي لم يعد إلى الإقامة منذ ثلاثة أيّام، كما عرضته للاستجواب وسلّمته استدعاء للحضور إلى مخفر دالي إبراهيم، ومنذ ذلك الحين بدأ يساوره قلق عميق حول مصير شقيقه.

6.3 يتوجّه يونس نحو المخفر مصحوبا بالاستدعاء، ليقابل الشّريطي الذي أخذ منه الاستدعاء، وأخضعه للتّحقيق، ثم أخذ تصريحاته، وتوقيعه بخصوص مقتل شقيقه، ودعا للمجئ الخميس المقبل لمعاينة الجثة في المشرحة بمعهد باستور، حينما همّ بالمغادرة التقى بسائق سيّارة الإسعاف، هذا الأخير عرض عليه توصيله إلى مقرّ إقامته.

7.3 ينتقل يونس إلى شقّة جديدة، يأتي يوم الخميس ويتذكّر مواعده في المخفر؛ فيذهب نحو مكتب الضّابط فتحي، الذي طلب منه مرافقته إلى مستشفى باستور لمعاينة جثة الضّحيّة للتّعرّف على هويّتها، بعد وصوله ودخوله رفقة الضّابط والمصوّر إلى جناح حفظ الجثث، يسحب العامل في الجناح الجثة من البرّاد، فيشاهدها يونس، أحسّ بقشعريرة في جسده؛ فهو لأول مرة في حياته يشاهد ميتا عن قرب، لم يتعرّف على هويّتها، فجأة تدخل سيّدة ذات قدّ ممشوق، وعينين خضراوين، أحسّ يونس بتيّار كهربائي يمرّ عبر جسده، إنّها سكورا بطلة الرّواية وبداية قصّة الحبّ.

8.3 بعد رجوع يونس إلى مسكنه بدأ يفكّر في ملامح الجثة، كأنّه عرفها، لذا قرّر أن يعود إلى مؤسّسة باستور ليعيد معاينتها؛ فانطلق في الصّباح الباكر، هنالك التقى بعبد الرّحمان السّائق، بصفته رئيس البوابين في المؤسّسة، والذي قاده إلى مكتب سكورا، هذه الأخيرة دعت له لرؤية الجثة قبل وضعها في التّابوت الخشبيّ وتسميره، ثمّ سلّمته بطاقة زيارتها مدوّنا عليها اسمها؛ وظيفتها؛ والمؤسّسة التي تعمل بها، ثم غادر.

9.3 تزور سكورا يونس في مسكنه في إحدى الليالي، يتحدّثان كثيرا، فلما همّت بالمغادرة سمعت أصوات شباب تشتمها بالشّارع؛ لأنّها تقابل رجلا صينيّا بدلا عن جزائريّ.

10.3 هذه المرّة يتمّ الّلقاء بينهما في مطعم خيمتنا، وسط المدينة، ويأتي الدّور عليها لتعرّفه بنفسها، فهي من مدينة الجزائر، وتنتمي لأسرة عديدة الأفراد، وبسبب عينيها الخضراوين وبشرتها البيضاء صارت محلّ شكّ الجميع، في كونها ابنة جارهم الفرنسيّ ميشال تيسي، الذي كان مجاهدا في صفوف جبهة التّحرير الوطنيّ، تتحرّج سكورا رفقة يونس من نظرات الاستغراب والتّعليق السّاخرة، التي يوجّهها الرّبائن نحوهما، فيقرّران معا مغادرة المطعم، ويفترقان خارجا كلّ في اتجاه سيّارته.

11.3 تلتقي سكورا ويونس مجدّدا في مطعم راق بحيدرة، هروبا من النّظرات الماكرة والتّعليق البليدة، لكنّهما يتحرّجان من نظرات الرّبائن المستنكرة وتعليقهم السّاخرة، التي هي نفسها، حتّى وإن كانت الوجهة مطعما راقيا.

12.3 تروي سكورا للقارئ استعجال أمها لزواجها من طبيب الأسنان نزييم، قبل استلام شهادة تخرجها الجامعية، وبمرور الوقت وجدت نفسها حاملا بطفلها الأول مالك، في نفس الفترة، بدأت تلاحظ غلبة الجانب الأثوثي في شخصية زوجها وغياب الفحولة المعهودة في الذكر الجزائري.

13.3 تواصل سكورا سرد تفاصيل حياتها الزوجية، بدءا من إنجاب طفلها الثانية ليليا، وعلاقتها الحميمة مع والد زوجها السيد قاسمي، ثم تغيير الأحوال بتقاعد حماها التي ضيقت عليها، بعدها تقرّر البحث عن عمل.

14.3 تعثر سكورا على وظيفة بمعهد باستور، وتستلم رئاسة مصلحة الأمن والوقاية والجناز، كما انتقلت إلى مسكن جديد، وقد لفتت تصريفات زوجها الغربية انتباهها؛ فهو لا يعود إلا ليلا متأخرا تارة، ومخمورا تارة أخرى، وعلاقتها الزوجية بدأت تفر، إلى جانب أنها تحاول حلّ مشاكل المراهقة لدى طفلها، بعدها، تكتشف شذوذ زوجها وخيانتة لها في غرفتهما، عندما تجده في إحدى الليالي عاريا في أحضان رجل غريب؛ فتقرّر إنهاء علاقتهما.

15.3 عبد الرحمان يزور مخفر الشرطة، تلبية للاستدعاء الذي وصله من رئيسها، هذا الأخير أعرب له عن حاجته الماسة لإيجاد حلّ لمسألة موت شقيق يونس، حيث يخشى أن تتحوّل إلى مسألة سياسية، مع اقتراب زيارة الرئيس الصيني إلى الجزائر، في غضون أشهر قليلة، يفكر عبد الرحمان في طلب المساعدة من ابن عمّه زهير أورايج؛ رئيس بلدية بني فرطاس، ابن عمّه هذا لن يردّ له طلبا، ودفن جثة صيني بإحدى مقابرها ليس بالحدث المهمّ، يتصل عبد الرحمان بابن عمّه هاتفيا، ويخبره بأنّ هناك شيئا صوفيا؛ عالما كبيرا، جاء من بلد العلم والعمل، وقد توقّاه الله في الجزائر، وأنه فكّر في أن تحظى قريتهم بشيخ يعتمرون عليه ضريحا بقباب، ويجعلوه مزارا للمؤمنين، يوافق زهير على الأمر، ممّا يجعل عبد الرحمان ينقل الجثة إلى القرية ويصل إليها بعد نصف نهار من السير تقريبا، وفي الغد بعد صلاة الظهر تمّ دفن الجثة، تحت أنظار ومراقبة السلطات العسكرية.

16.3 سكورا تقرّر تعلّم اللغة الصينية، بدءا من لغة الجسد، تمرّ ببعض المكتبات وتسلّ عن كتاب مبادئ تعلّم الصينية، تقرّأ بهم كل ما يسقط بين يديها من كتب صينية مترجمة إلى الفرنسية، تسجّل موسيقات الصين المختلفة، وتستمتع إليها كلّما أتاحت لها الفرصة.

17.3 يغادر عبد الرحمان القرية، بعد أن قضى بها ثمانية أيّام، في طريق عودته إلى العاصمة يستمع إلى الأشخاص المستقلين سيّارته، والجالسين في المقاهي، وهم يتجادلون حول أصل الحاجّ الشينوي، وقصة موته ودفنه ببني فرطاس، تمثّى لوبقي هناك في القرية "لينذر حياته خدمة لضريح الحاجّ الشينوي، الذي منه تطلع البركات والمال وهو طريق الجثة" (الزاوي، 2015، صفحة 181)، يمرّ برئيس المخفر فتحي ليقدمّ إليه تقريرا مفصّلا عن مراسيم الجنازة، فيأمره هذا الأخير بالاختفاء فورا من المدينة، نظرا لتعقّد الأمور؛ فالبلاد على حافة الفتنة بسبب الإشاعات "الصّحف والسّاسة والوزراء، الجميع يتسابق لزيارة الضريح ويقترح المساعدة والهبات والزكاة والعطايا" (الزاوي، 2015، صفحة 182)، يشير عليه أن يتواجد بالقرية ليراقب زوّار الضريح من الطبقة العليا، فالسلطات تتخوّف من "أن يرحل جميع الصينيين المتواجدين في المدن الجزائريّة، والذين يقدر عددهم قرابة النصف مليون إلى قرية بني فرطاس(..) فيؤسّسوا هناك مملكة أو حزبا أو مقاطعة تخلق لنا مشكلة" (الزاوي، 2015، صفحة 188).

18.3 تزور سكورا يونس في شقته، تروي له مجددا قصة ابنتها ليليا التي لم تبد عليها علامات البلوغ بعد، بينما حدثها هو عن سكان البناية الصينيين الذين اشتروا جميع الشقق فيها وعن تعلمه للغة الأمازيغية، يتناولان مشروبا كحوليا صينيا قويا، يرقصان معا ثم يأخذها في أحضانها.

19.3 في صباح الغد تعود سكورا إلى مكتبها ورأسها مصاب بالدوار، تتذكر كيف أمسك يديها يوم لقاها في مطعم المراح أول مرة "وأسكنهما راحتي كقيه الصغيرتين ذات الأصابع الناعمة الثابتة بانسجام على أطراف الكف" (الزاوي، 2015، صفحة 205)، واكتشفت من حديثه حبه للأدب، والموسيقى، والتكنولوجيا، والرياضيات، بعد افتراقهما تدخل مقهى للإنترنت وتفتح على محرك غوغل بحثا عن "مقالات تتحدث عن علاقة الصيني بالجنس والمرأة والجسد" (الزاوي، 2015، صفحة 207)، تتذمر من نظرة الذكر الجزائري للمرأة "إنه خشن ومنافق وكذاب وأناني لا يحب في المرأة سوى تلك التي تخدمه، المرأة إما عبدة أو أم" (الزاوي، 2015)، تخلص سكورا في النهاية إلى أن دخول مغامرة عاطفية مع غريب هي مواجهة للغربة التي نعيشها في هذا الزمن القاسي، فالبحت عن الغريب هو "بحث عن بداية اكتشاف العالم بعين الإنسان، لا بعيني الرجل الجزائري" (الزاوي، 2015، صفحة 212).

20.3 يزور عبد الرحمان سكورا في مكتبها، يحدثها عما جاء في الجرائد من أخبار الاشتباكات بين صينيين وجزائريين، في الحي الذي يقيم به يونس، مما جعلها تشعر حياله بالقلق، وتحسّس وجوده في قلبها، تحاول إخفاء مشاعرها وقلقها عن عبد الرحمان، وقد شعرت "وكأنما كان يتمنى أن يرحل هذا اليونس ومعه جميع الصينيين" (الزاوي، 2015، صفحة 216)، كي يجرب حظه معها.

21.3 عبد الرحمان يذهب إلى قريته، وهناك يلتقي بابن عمه الذي كان منزعجا لوجوده هو الآخر فيها وأخبره بقرار عودته إلى القرية، غير أن هذا الأخير نصحه بالرحيل؛ لأن رأسه مطلوب لقتله شخصا من أهلها، منذ عشرين عاما.

22.3 مرة أخرى تلتقي سكورا بيونس في مطعم خيمتنا، يتناولان الطعام معا، ثم يغادران، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحا، ركبا سيارة صغيرة وسارا خارج المدينة، ودخلا وسط غابة، أوقفا السيارة ليمارسا الحب، وقد أعجبت بقدراته الجسدية في إشباع رغبات الجسد.

4. نمط بناء الأحداث في رواية (الملكة):

إن معرفة الكيفية التي يتبعها الروائي لتقديم الأحداث بحيث تجعلها تتسم بالتطور، والتحول، والتنامي، وأسلوبه في التعامل معها، والقواعد التي يلتزمها، ليربطها بالمكونات السردية الأخرى؛ أمر ضروري لدراسة نمط بنائها، وقد زخرت (الملكة) بأحداث كثيرة ومتنوعة، جعلت هذا العنصر يتقدم من حيث الأهمية على العناصر السردية الأخرى كالزمن، والفضاء، والشخصيات، واضطلع السرد بمهمة الربط بينها بطريقة فنية فراها مرتبة؛ متوازنة أحيانا، ومتناثرة؛ متداخلة أحيانا أخرى، كما يمكننا ملاحظة تباينها حسب أهميتها، بين رئيسية شكّلت نقاطا حاسمة في مسار الرواية، بحيث حوّلت مستوى السرد من السير الخطّي الأفقي إلى مستوى أرفع، مثل:

*زواج سكورا من نزييم.

*حصولها على وظيفة في معهد باستور.

* اكتشافها لشذوذ زوجها وخيانتته ثم طلاقها منه.

* موت الصبيّي سون باسن وقدم يونس إلى المعهد لمعاينة الجثة.

* لقاء سكورا ويونس في مصلحة حفظ الجثث.

وأحداث أخرى فرعية، أقلّ تأثيراً من سابقتها، ويمكن اعتبارها مكملّة لها، منها:

* اجتماع أقارب يونس في منزله لتوديعه قبيل سفره إلى الجزائر.

* لقاء يونس بعاملة النظافة حفيظة في المخفر.

* انتقال يونس إلى شقة خاصّة.

* زيارة عبد الرحمان لسكورا في مكتبها.

* سجن مالك ابن سكورا بسبب قيادته السيّارة مخموراً.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الفائدة والمتعة الأساسيّة التي نجنيها من دراسة الحدث هي اكتشاف اللحظة التي اختارها الكاتب بطريقة مقصودة، لينطلق منها لسرد نصّ الرواية؛ إذ يجب أن تكون مميّزة، وملفتة للنظر لتجذب المتلقّي نحو استكمال قراءتها، وهذا ما فعله الزاوي في (الملكّة)، إذ نراه افتتح روايته بعرض خلاصة الأحداث، التي أفضت ببطل الرواية سكورا إلى كونها حاملاً في شهرها السابع، واقفة بهدوء على شرفة منزلها، وهي تتأمّل عودة البطل يونس الذي رحل إلى بلده الصّين، بعد أن عاشت برفقته مغامرة عاطفيّة غير مسبوقه، فالملاحظ هو أنّ الروائيّ استند في اختياره هذا على إحدى الطّرق الحديثة، التي تنطلق من عرض نقطة النهاية ثمّ العودة إلى الماضي، بخلاف ما كان يشيع في الرواية التقليديّة، التي كانت تتخذ طريقة خطيّة تتسلسل فيها الأحداث بطريقة منطقيّة، بحيث يتدرّج الروائيّ في بنائها بدءاً من التّمهيد، إلى أن تبلغ مرحلة التّعقد والتّأزم، ثمّ تكون النهاية وانحلال العقدة، رغم أنّنا نراها تسير وفق نظام منطقيّ أحياناً، وأحياناً أخرى تخرج عن هذا النّظام وتتبعثر.

إضافة إلى ذلك، يمكننا من خلال ما سبق من أحداث ملاحظة أنّ العلاقات الجامعة بين الأطراف الثلاثة تمرّ عبر شخصيّة سكورا؛ لأنّها العنصر المخالف للعنصرين الآخرين، أنثى في مقابل رجلين، تتصلّ سكورا مع نزيّم برابط الزوجية المقدّس الذي لا يخترقه الشكّ والرّيبة، لأنّ مجتمعنا يسود فيه اعتقاد جازم بأنّ خلاص المرأة يكمن في زواجها من رجل يسندها ويحميها، لكنّ الكاتب ينتقل بالحكاية من مستوى الاطمئنان والثّبات إلى مستوى الاضطراب والخلخلة، حينما يزرع الشّقاق بين الطّرفين، فيتمكّن من تحقيق العقدة في نصّه من خلال الحدث الآخر الذي سيعمّق مأساة سكورا، عندما تكتشف أن زوجها شاذّ، ويخونها، فتقرّر الانفصال عنه، لكن منتهى التّحوّل يقف عند الحدث التالي بدخول طرف ثالث هو الرّجل الصّبيّي يونس، رجل مناقض للأوّل، يحمل كلّ الصّفات الإيجابيّة التي تحتاجها البطله لتحقيق سعادتها، وترى من خلالها معنى الرّجولة وتتوافق مع طموحاتها، وهي التي عانت من عقدة الرّجل الجزائريّ.

أما التّنظيم الدّاخليّ للنصّ والمعروف بالحبكة، أو العقدة، التي تعرف في أبسط معانيها بأنّها "حدث يقود إلى حدث آخر" (خليل، 2010، صفحة 216)، فقد كانت محكمة الوضع، وتطوّرها في بعض الأحيان أدّى إلى تلاشي الأزيمة، كما حدث عند اكتشاف سكورا لشذوذ زوجها؛ فكان الطّلاق سبباً لتلاشيها، وفي أحيان أخرى أدّى إلى تفاقمها في حياة الشّخصيّة: مثل

غياب سون باسن شقيق يونس عن مسكنهما مدة ثلاثة أيام؛ مما أدى إلى محاصرة الشرطة للمكان، وتفتيشه، وتوجيه استدعاء ليونس كي يحضر إلى المخفر، بالإضافة إلى أنه يمكن اعتبار حبكة رواية (الملكة) من نوع الحبكة الناجحة، وهي التي "تتعرض فيها أهداف البطل لكثير من الصعوبات، والعراقيل، التي تحاول منعه من تحقيق ما يرجوه لكنّه في النهاية ينجح في تحقيق الهدف" (خليل، 2010، صفحة 221).

إلى جانب ذلك، تعمّد الكاتب تقمّص دور شخصياته، متحدّثا بلسانها في كلّ فصول الرواية، موظّفا ضمير المتكلم، وذلك لإبراز وجهة نظره الخاصّة من جهة، ولتحلّل أقوال وأفعال وأوصاف شخصياته من جهة أخرى، كما أنّه اعتمد في نسج تفاصيل أحداثها ورسم لوحاتها المشهديّة على الواقع كمرجع، حتّى وإن كان الحدث داخل النّصّ السردى غير مطابق لما هو عليه في الحقيقة، حيث يتدخّل عنصر الخيال كتقنيّة لازمة في عمليّة الإبداع الفنّي، معتمدا على عنصر التّشويق المفتعل، وإثارة انتباه وفضول القارئ، حتّى يخيّل إليه أنّها قريبة الاحتمال، وأنّ الشخصيات حقيقيّة، مستغلاّ مقدرة الرواية على رصد عالم الإنسان، والتّدقيق في تفاصيله، وأسراره، ومختلف امتداداته "لكن بوسائط جماليّة وفنّيّة تفرضها سلطة السرد وفعل التّخييل، هكذا تستدعي الرواية عالما متخيّلا، فتشكّل مرجعيّة نصّيّة تبدو ممكنة التّحقّق، بالرغم من كونها مرجعيّة أنتجها التّخييل" (التمارة، 2013، صفحة 15).

وحثّ نحيط بمختلف جوانب الموضوع؛ فلا بدّ لنا من الوقوف على نهاية الرواية، التي أفردت لها مكانة خاصّة في الأعمال النّقديّة الحديثة؛ إذ جعلتها لا تقلّ أهميّة عن البداية، كونها تظهر ذكاء الكاتب، ومقدرته على إثارة ذهن القارئ، ومدى تأثره بالنّصّ الذي اطّلع عليه، وما تركه من انطباع لديه حول جودة العمل من عدمها، وتتركه في دوامة من الأسئلة، وبناء تصوّرات ونهايات متنوّعة، وقد وجدنا الرّوائى الزاوي اعنى بها، بحيث لم يقدّم فيها نهاية صريحة، فقد كانت واضحة فكريا، لكنّها في الحقيقة مفتوحة على كلّ الاحتمالات لأنّ الوقائع ليست محدّدة المأل، فقد يعود يونس وتستمرّ العلاقة، وقد يتزوّجان، وربما لا يتزوّجان، وماذا عن مصير الجنين؟ فالقصد من إبقائها مفتوحة هو إفساح المجال للقارئ ليبرز قدراته الفكرية على التّخمين والتّحليل، ووضع تصوّر لها، بوصفه مشاركا في العمليّة الإبداعية، فهو لا يعتمد على المؤلّف لإدراك ما غمض؛ بل يبحث عن الحقيقة بنفسه، وهذا ما يحقّق قصديّة العمل الرّوائى المعاصر، الذي يسعى إلى تفعيل مشاركة الأطراف الثلاثة: القارئ؛ المبدع؛ النّص.

5. خاتمة ونتائج الدّراسة:

من خلال تراتب الأحداث يتبيّن لنا أنّ اهتمام الكاتب انصبّ على تفكيك مادّة الرواية إلى أجزاء مصغّرة، ولم يختر بناءها على النمط التّقليديّ، القائم على وحدة المادّة الحكائيّة، والتّسلسل المنطقيّ للأحداث، اعتمادا على البداية، والعقدة والنّهاية، بل اعتمد طريقة توزيع محتوى الرواية وتفرّيعها على عدّة فصول، بلغ عددها اثنين وعشرين فصلا، يتضمّن كلّ واحد حدثا رئيسيا أو أكثر، وهي من وسائل تبطئة الحكى في الكتابة السردية المعاصرة، الغرض من استخدامها هو تنظيم محتوى الرواية، ووقف تدفقها المسترسل، والإيهام بتفكك مادّتها. الخلاصة من هذا النّظام هو أنّ الكاتب سرد روايته عبر تسليم خيط السرد لشخصياته، كي يبني حولها عوالمها قابلة للتشكّل، والتطوّر، مصوغة بطريقة جماليّة وفنّيّة، بعيدا عن السطحيّة والمباشرة، فضلا عن تأكّيده أنّ الرواية ليست نتاجا للخواطر والأفكار فحسب، بل هي بناء سرديّ متماسك، تشترك في صنع أحداثه كلّ المكوّنات السردية، وعمل ذهنيّ، يستند على التّصميم والتّخطيط وفق بناء مخصوص، تنتظم

وتتراكم خلاله الأحداث، ليكشف عن مقدرة إبداعية في رصد تمظهرات العالم الخارجي، وتحويلها إلى مشاهد أدبية، وبنيات سردية، من منظور العمل الإبداعي، عالم مصطنع، يكمن خلف البنية الحديثة ذات الأبعاد الفنية والجمالية، لكنه يحيل إلى واقع مرجعي، يوهم القارئ بتخيّله والتفاعل معه، وتصديقه.

6. قائمة المراجع:

- التّمارة، عبد الرّحمان. (2013). مرجعيّات بناء النّص الرّوائي. الأردن: دار ورد للنّشر والتوزيع.
- الرّاوي، أمين. (2014, 7 23). روايتي القادمة تبحث في الوجود الثقافيّ الصّينيّ في الجزائر. تاريخ الاسترداد 23 2, 2021، من المحور اليوميّ: <http://elmihwar.com/ar/index.php/mobile>
- الرّاوي، أمين. (2015). الملكة الفاتنة تقبل التّنين على فمه (رواية). لبنان.
- القاضي، محمّد، الخبّو، محمّد، السّماوي، احمد نجيب العمامي، محمّد. عبيد، علي، بنخود، نور الدّين. النّصري، فتحي، وآيت مهبوب، محمّد. (2010). معجم السّرديات. المغرب: مكتبة الأدب المغربيّ والرّابطة الدّولية للنّاشرين المستقلّين.
- خليل، إبراهيم. (2010). بنية النّص الرّوائي (دراسة). لبنان: منشورات الاختلاف والدار العربيّة للعلوم ناشرون.
- شرحبيل، إبراهيم المحاسنة. (2012, 1 23). بنية الشخصية والحدث الروائي. تاريخ الاسترداد 27 2, 2021، من المجلة العربية: <http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=1662>
- لوسيان، غولدمان. ساروت، نتالي. ألان روب، غرييه. وجنيفيف، موبلو. (1988). الرّواية والواقع (ط1). تر: بنحدو، رشيد. المغرب: مكتبة النّقد الأدبي ومنشورات عيون المقالات.
- معتصم، محمّد. (2010). بنية السّرد العربيّ من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير (ط1)، لبنان: منشورات الدّار العربيّة للعلوم ناشرون وضاف ودار الأمان.